خلاص النفس

الجزء الثاني

تجديد الذهن والسير في شراكة الروح القدس

أولًا: النفس في الكتاب المقدس — معنى أعمق

كثيرًا ما نسمع عن خلاص الروح حتى نظنّ أنه نهاية المطاف. لكن الكتاب المقدس يكشف لنا أن هناك غايةً أبعد يريد الله أن يبلغها كل مؤمن في هذه الحياة، قبل أن يدخل الملكوت. تلك الغاية هي خلاص النفس.

بطرس الأولى ١ : ٣-٩

> مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ ٱلْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ... نَائِلِينَ غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلَاصَ ٱلنُّفُوسِ.

لفهم هذا النص فهمًا صحيحًا، نقف عند كل عدد:

العدد ٤: يتحدث عن الميراث — الميراث هو حق الأبناء فقط. فالمؤمن المولود من جديد هو ابن لله، وله ميراث محفوظ في السماوات.

العدد ٥: يتحدث عن الميلاد الثاني وعن حراسة الله للمؤمنين. الملك نفسه يحرسك بقوته.

العدد ٧: يتحدث عن خلاص الجسد — أي أن الإيمان الحقيقي له أثر على الجسد ذاته.

وعندما يصل بطرس إلى كلمة "النفوس" في الآية التاسعة، فهو يستخدم الكلمة اليونانية "بيسيوخي"، وهي تعني:

> **النفس = الفكر + الذهن + الإرادة + المشاعر**

إذن، خلاص النفس هو خلاص فكرك وذهنك ومشاعرك وإرادتك. ليس مجرد شعور ديني، بل هو تجديد عميق وشامل لكل ما يجري في داخلك.

> **الغضب السريع دليل على أننا لم ننل بعد فكر المسيح الكامل — فالمسيح مرّ بكل ما نمر به، بل بما هو أشد منه عشرة أضعاف.**

ثانيًا: تجديد الذهن — السلاح الذي لا يُقهر

إذا كانت النفس هي ميدان المعركة، فإن الكلمة هي السلاح. لهذا يدعونا بولس الرسول إلى تجديد الأذهان لا إلى مجرد تغيير السلوك الخارجي:

رومية ١٢: ١-٢

> فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ ٱللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ ٱللهِ، عِبَادَتَكُمُ ٱلْعَقْلِيَّةَ. وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا ٱلدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ ٱللهِ: ٱلصَّالِحَةُ ٱلْمَرْضِيَّةُ ٱلْكَامِلَةُ.

تجديد الذهن هو العبادة الحقيقية. وهو الطريق الوحيد لاختبار إرادة الله الكاملة في حياتك. ثم يكشف بولس الوجه العملي لهذا التجديد:

كورنثوس الثانية ١٠: ٤-٥

> إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِٱللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ ٱللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ ٱلْمَسِيحِ.

عبارة "مُستَأسِرين كل فكر" تعني شيئًا محددًا وعمليًا جدًا: حين تأتيك فكرة قلق أو خوف أو يأس، لا تتركها تسرح وتمرح في عقلك. بل خذها فورًا إلى كلمة الرب واسألها: ماذا يقول الله عن هذا؟

> **مثال:** إن مرضت، الكلمة تقول إننا مشفيون بجراحات المسيح. وإن خفت، الكلمة تقول "لا تخف" — وهي عبارة وردت في الكتاب المقدس ٣٦٦ مرة، أي مرة لكل يوم من أيام السنة، حتى في السنة الكبيسة.

أسئلة جوهرية حول استئسار الأفكار

سؤال: هل معنى هذا ألا نفكر بهذه الأفكار أبدًا، أم أن نأخذها إلى الكلمة حين تأتينا؟

الجواب: على فكرك وحده لا تعتمد. إذا تركت لكل فكرة سبيلها، فللشرير طريقة ماهرة في إقناعك. الحل ليس قمع الأفكار، بل أسرها وتقديمها للكلمة فور وصولها.

سؤال: وماذا عن الأمور الواقعية التي أراها وأعيشها الآن؟

الجواب: البار بالإيمان يحيا. بطرس كان مسجونًا تحت حراسة مشددة، بعد مقتل يعقوب مباشرة، ومهددًا بالإعدام. ومع ذلك كان نائمًا نومًا عميقًا! الكنيسة كانت تصلي بلجاجة، فأرسل الله ملاكًا ليوقظه. الروح القدس يقول لك في أحلك اللحظات: «أنتم الذين بقوة الله محروسون.»

ثالثًا: تحزيم الذهن — الحزام الذي يحميك

بطرس الأولى ١: ١٣

> لِذَلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ صَاحِينَ، فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِٱلتَّمَامِ عَلَى ٱلنِّعْمَةِ ٱلَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ ٱسْتِعْلَانِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ.

"منطقوا أحقاء ذهنكم" هي صورة من صور الحرب القديمة. الجندي الروماني كان يشدّ حزامه قبل المعركة حتى لا تعيق ملابسه حركته. هكذا ذهنك: اربطه بكلمة الله كي لا تتسلل إليه أفكار خاطئة تُعيق سيرك في الله.

قصة حقيقية: الإيمان في وجه العاصفة

في خضم أزمة الركود الاقتصادي عام 2007، حين كانت الأخبار تحمل كل يوم أسماء جديدة لمن فقدوا وظائفهم، كانت زوجة أحد المؤمنين تلد طفلهما الأول في المستشفى. وفي تلك اللحظة بعينها، رنّ هاتفه: صاحب العمل، وكلمات قصيرة حادة: «أنت مفصول.»

أغلق الرجل هاتفه، دخل إلى غرفة زوجته في المستشفى واطمأن على مولوده. في اليوم التالي ذهب إلى الكنيسة كعادته. كان بينهم ضيف قادم من بلدٍ أخرى، توقف فجأة في منتصف تعليمه وأشار إليه: «لنقل مثلًا أن هذا الشخص فقد عمله اليوم — ماذا يجب أن يفعل؟» تكلم الواعظ واجاب «لن يقلق، لأن الرب هو الذي يوفر.» لم يكن أحد في القاعة يعلم ثقل هذه الكلمات، إلا الراعي الذي كان يعرف ما حدث — فأدرك أنه يشهد إيمانًا حقيقيًا لا مجرد إجابة.

مرت ثلاثة أشهر بلا راتب ومع مولود جديد. لكن في نهاية كل شهر، كان أصدقاء وأشخاص من الكنيسة — دون تنسيق ودون اتفاق — يُعطون ما يستطيعون، ويجتمع المبلغ في النهاية: نفس الراتب بالضبط، في كل مرة.

لم يملك هذا الرجل خطة احتياطية. كان يملك شيئًا آخر: ذهنًا محزومًا بكلمة الله، ونفسًا مخلَّصة بالخلوة اليومية.

مزمور ٣٧: ٢٥

> أَيْضًا كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقًا تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلَا ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزًا.

أغلب المشاكل في العائلات سببها المال — وهذا بدوره هو جذر كثير من الأمراض الذهنية والنفسية. لكن الذهن المحزوم بكلمة الله لا تزعزعه الأزمات المادية.

رابعًا: قصر النفس والكبرياء — الوجه الآخر للخطر

كثير من المؤمنين يبدأون بحماس كبير، لكن مع الوقت يخبو ذلك الحماس وتبرد الجمرة. هذا ما يُسمى "قصر النفس" — ومصدره الخفي هو الكبرياء.

الجامعة ٧: ٨

> نِهَايَةُ أَمْرٍ خَيْرٌ مِنْ بَدَايَتِهِ. طُولُ ٱلرُّوحِ خَيْرٌ مِنْ تَكَبُّرِ ٱلرُّوحِ.

نهاية الأمر خير من بدايته — لأن من يصل إلى النهاية هو من غلب نفسه. والكبرياء في الكلمة لا يعني فقط الغطرسة الظاهرة؛ بل يعني الاستقلالية — الشخص الذي لا يريد الاعتماد على الرب، الذي يظن أنه يستطيع وحده.

> **الكبرياء يقودك إلى الكسر وإبليس سيقضي على حياتك.**

يعقوب ٤: ٦

> وَلٰكِنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةً أَعْظَمَ. لِذٰلِكَ يَقُولُ: يُقَاوِمُ ٱللهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا ٱلْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً.

كثير من المؤمنين الذين دعاهم الرب لدعوة كبيرة لم يكملوها بسبب كبريائهم الروحي. الدعوة كانت حقيقية، لكن النفس لم تُخلَّص حتى تحمل ثقلها.

تحذير في تربية الأجيال

الرب يريدنا أن نُخرج العصيان والتمرد من أطفالنا وهم صغار. النبتة الصغيرة في عقل الطفل من السهل جدًا اقتلاعها — لكن إن تُركت، تصبح نخلة راسخة يصعب اجتثاثها، ويصبح الطفل غير قابل للتوبيخ ولا للتصحيح. وهذا بالضبط ما حدث مع شاول — قصته مع صموئيل درس لكل جيل.

> **تذكّر: ليس كل من هو مدعو يُكمل الدعوة.**

خامسًا: الاختطاف — لمن يعيش في شراكة الروح القدس

يسوع المسيح أخذ اللعنة على الصليب من خلال إكليل الشوك على رأسه، وجرّد إبليس وأتباعه من سلطانهم، وأعطى ذلك السلطان للمؤمنين. هذا هو الأساس. لكن هذا السلطان يُمارَس في الشراكة، لا في الانفصال.

فيلبي ٢: ١٢

> إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ ٱلْآنَ بِٱلْأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلَاصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ.

رومية ٥: ٩

> فَبِٱلْأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ ٱلْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ ٱلْغَضَبِ!

خلاص النفس لا يكتمل بمعزل عن الشراكة اليومية مع الروح القدس. والاختطاف ليس ضمانًا أوتوماتيكيًا لكل مولود من جديد — بل هو لمن يعيش في طاعة يومية:

تسالونيكي الأولى ٥: ٢-٤

> لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِٱلتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ ٱلرَّبِّ كَلِصٍّ فِي ٱللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ... وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ ٱلْيَوْمُ كَلِصٍّ.

من هو المؤمن الذي يعيش في الظلمة؟

هو المؤمن الذي يرفض أن يجلس مع الرب كل يوم ويعيش في شراكة حقيقية معه. الكلمة واضحة:

عبرانيين ٤: ١٢

> لِأَنَّ كَلِمَةَ ٱللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ ٱلنَّفْسِ وَٱلرُّوحِ وَٱلْمَفَاصِلِ وَٱلْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ ٱلْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.

تسالونيكي الأولى ٥: ٥-٩

> جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ. فَلَا نَنَمْ إِذًا كَٱلْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ... لِأَنَّ ٱللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لِٱقْتِنَاءِ ٱلْخَلَاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ.

في مثل الزارع حذّرنا يسوع من أن تخنقنا هموم الحياة وغرور الغنى. الرب يريدنا ناجحين، لكن لا مغرورين. بعض الناس بسبب كبريائهم سيذهبون يومًا إلى الكنيسة ولن يجدوا أحدًا — لأن الاختطاف قد جاء وفاتهم.

ثلاث خطوات إلى الاختطاف: درس من رؤيا يوحنا

رؤيا يوحنا ٤: ١

> بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَٱلصَّوْتُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي سَمِعْتُهُ كَبُوقٍ يَتَكَلَّمُ مَعِي قَائِلًا: ٱصْعَدْ إِلَى هُنَا فَأُرِيَكَ مَا لَابُدَّ أَنْ يَصِيرَ بَعْدَ هَذَا.

أولًا: نظرت — التيقّظ الروحي والانتباه الدائم.

ثانيًا: سمعت — التمييز بين صوت الروح القدس وسائر الأصوات.

ثالثًا: أطعت — الاستجابة الفورية دون تردد.

حين يتصل بك شخص لأول مرة لن تعرف صوته. لكن حين يتصل بك شخص تتحدث معه كل يوم، ستعرفه فورًا دون أن تنظر إلى الشاشة. هكذا بالضبط الروح القدس والاختطاف: إن لم تكن في شراكة يومية معه ولا تعرف صوته، لن تطيع حين يناديك. وأما إن كنت في شراكة دائمة معه، فستسمعه وتطيعه، لأنك تعرفه.

خلاصة: ما هو خلاص النفس؟

بعد كل هذا التعليم، يمكننا أن نلخّص خلاص النفس في أربعة علامات عملية في حياة المؤمن:

١. أن يكون لديك فكر المسيح — ذهن مجدَّد تأسره إلى طاعة كلمة الله.

٢. أن تكون لديك صلابة في التعليم والخلوة اليومية — لا تتزعزع ولا تتوقف.

٣. أن تسيطر على عواطفك ومشاعرك وغضبك — لا تتحكم فيك، بل أنت تتحكم فيها.

٤. أن تكون حياتك فيها اتضاع مستمر — تقبل التوبيخ والتصحيح والتعليم بقلب مفتوح.

النفس المخلَّصة هي النفس التي تعيش في شراكة يومية مع الله،
وتنتظر نداء الروح القدس لترحل إلى حيث أعدّ الرب له